

## الوافي في الوفيات

وكتب إلى العلامة شهاب الدين أبي الثناء محمود C تعالى من القاهرة : يقبل الأرض لا  
أبعد إلا عن الرُّوِّ واد ساحتها ولا أفقد الوراد ساحتها ولا زالت محوطةً بعناية الإله في  
ظعنها وإقامتها منوطةً بامتداد الذِّعم وإدامتها مرفوعةً إلى غايةٍ يقصر النجم أن  
يساميتها وتضحى الشمس دون وساميتها . ولا برحت رجال الرجاء تحطُّ برحابها وجنائب الثناء  
تحثُّ إلى جنابها ونتائج الألباب تهدي لبابها . وينهي شوقه الذي تكاد حصة القلب منه  
تذوب إلى لثم تلك اليد التي تعلم منها الغيث كيف يصوب . والأنعم التي وسمت بها مغناي  
وهو جديب والمكارم التي تجفُّ صروع المزن وهي حلوب . حيث وضوح محجَّة الحجي واتساع  
أرجاء الرجا ومهب رخاء الرخا وانتظام سحب السخاء . إذ ظلال الآداب وارفة وشمس الأفضال  
طالعة ليست بكاسفة . فرعى الإله وحىً وسقى وصان وحمى ووقى . ولا عدمت أندية الآداب أنداء  
ذلك السحاب ولا غاب عن غاب الأقلام بأس ذلك الصِّرغام ما شوق العليل إلى الشِّفا والحجيج  
إلى الصِّفا والمشرد إلى الوطن والمسهد إلى الوسن والظمان إلى الماء والحرث إلى  
أسماء . بأكثر كلفاً ولا أشد شغفاً من المملوك إلى اقتباس تلك الفوائد والتماس تلك  
الفرائد قرَّب الإله مغناها ما أسناها ولا أبعد مسراها فما أسراها إنها العقائل الشريفة  
بشرف القائل ولها من نفسها طرب كما في ابنة العنب : من الخفيف .  
لا تخافي إن غبت أن نتناسا ... ك ولا إن واصلتنا أن نملا .  
إن تغيبنا فسيقياً ورعياً ... أو تلمسني بنا فأهلاً وسهلاً .  
أيها السيد وما خلت البقاع والإمام الذي انعقد على فضله الإجماع والماجد الذي محامده  
ملى الأبصار والأفواه والأسماع . صفحاً عن فريضة ما أومضت حتى خبت ولا مضت حتى كبت ولا مضت  
حتى نبت ولا امتد لها ظل العيش حتى تقلص ولا ساغ لها ورده حتى غصص وتغصص . ولا أطل  
سحابه حتى أطلع ولا أطل حتى تفششع ولا سلَّم بنان بيانها حتى ودَّع . كرَّت عليها  
الكروب وتخطَّت إليها الخطوب وتوالت عليها الهموم فلم تدع لها همَّه ورمتها الحوادث  
بكل ملامَّة . تسوِّد القلب وتبييض اللامَّة . فلا غرو إن أصبحت كليله من الأفراح  
ودمنة من الأتراح . تدعى ولا تجيب وما ذاك بعجيب . إن شاء المملوك منها إنشاءً أبت إلى  
إبائه وقال : النجاة النجاة . فيضاعتك مزجاة . عدِّ عن هذا السبيل لست من هذا القبيل .  
فقلت لما أعطت منعها وأكثرت ردَّها وردعها : لا يكلِّف إلا وسعها . إن الهدايا  
على مقدار مهديها . ولما شجع المملوك نفسه بهذه المقالة شفع هذه الرسالة بأبياتٍ  
تباريها في الثناء وتجاريتها في حلبة الدعاء . وأقدم على هذا العرض الأدنى على ذلك

الجوهر الأسنى . وقابل ذلك المقام بهذا المقال بعد أن استقال . وقال : من الطويل .  
سلا قلبه إن كان عن حيكم سلا ... وهل مال يوماً عن هوى ذلك الملا .  
وهل زال من بعد البعاد وداده ... وهل حال عن تلك المعاطف والحلا .  
سقى □ أيام الوصال وعيشنا ... رقيق الحواشي لا ينعصم بالقلبي .  
لياليّ - روض الجزع فيهنّ - ما ذوى ... ومعهد ليلى الأخيلية ما خلا .  
سحبت بها ذيل المسرّة والصّيبا ... وحالفت لذّاتٍ وخالفت عذّلا .  
لقد طال ليلي بعدهنّ - كأنه ... بسود فروع الغانيات توصّلا .  
فكم كلفٍ مثلي بمنعرج اللّوى ... تكلف أثقال الهوى وتحمّلا .  
له مقلةٌ عبرى تجود بمائها ... وقلبٌ من البين المجدّ - تجدّلا .  
ما كلّ جفنٍ مثل جفني مسهّد ... ولا كلّ قلبٍ مثل قلبي مبتلى .  
منها : .  
ولّما وقفنا بالمطايا عشيةً ... على الطلل البالي وقلنا له الا .  
أذرتنا لأخلاف الدموع فأحلفت ... وفاضت إلى أن انبت العشب والكلأ .  
منها : .  
وعاذلةٍ في سوء حظي جهالةً ... ولا ذنب لي في سوء حظي لتعدلا .  
ولو يصلح الإنسان بالجدّ - حظّه ... لأوسعت في إصلاح حالي التّحيّلا .  
وقائلةٍ قد جلّ - منصب جلّ - ... فقلت لها : ما ذاك بدعٌ وكيف لا ؟ !